تأسيس الأئمة عليهم السلام للحوزة العلمية

لمعرفة بداية تأسيس الحوزة العلمية وتاريخها، والمراحل التي مرت بها في عصر الأئمة عليهم السلام وما بعده، علينا أن نقف على أمرين:

أولا: ما هي الحوزة العلمية؟ لنطبق تعريفها على الحركات العلمية عبر العصور.

ثانيا: هل نستطيع أن نطلق على تلك الحركات أنها حوزة علمية؟ أو كان أهل البيت يأسسون لأمر آخر.

تعريف الحوزة العلمية: هي مؤسسة تعليمية تربوية تعتمد الدين الإسلامي الصحيح وتهدف الى تبليغه.

توضيح التعريف:

مؤسسة: هي كل تنظيم له أهداف، ورسالة، ورؤية، ونتيجة.

والحوزة كباقي المؤسسات، بل إن طبيعتها المؤسساتية طبيعة فريدة من نوعها تحفظ لها وجودها وتمكنها من صد جميع الهجمات الخارجية والداخلية.

تعليمية: من وظائف هذه المؤسسة انها تعليمية وتربوية.

تعتمد الدين الإسلامي: هذه المؤسسة تعتمد في تربيتها وتعليمها على الدين الإسلامي الصحيح. والدين الإسلامي الصحيح إنما هو المذهب الامامي الاثنا عشري الذي أسسه النبي صلى الله عليه وآله وقاده أئمة الهدى من أمير المؤمنين عليه السلام الى الحجة المنتظر عجل الله فرجه، وفي عصر الغيبة قادتها ظاهرا هم الفقهاء والعلماء.

تهدف إلى تبليغه: فأسمى هدف لهذه المؤسسة هو تبليغ الدين الإسلامي الصحيح وإيصاله على أنه كلمة الحق المنزلة من الله سبحانه وتعالى.

الرسالة والرؤية والاهداف:

من سمات هذه المؤسسة الرسالة والرؤية والاهداف الواضحة:

فالرسالة: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾.

وهذه الرسالة مشتملة على الاهداف وأسلوب العمل والنتيجة، فالهدف هو تبليغ رسالات الله، والأسلوب المتبع هو الشجاعة في تبليغ الرسالة والخشية من الله، والحوزة لا تضعف أمام العواصف الخارجية بل حتى الداخلية والتاريخ خير شاهد على ذلك، والنتيجة هو قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾.

ويظهر أن بداية الحوزة العلمية بهذا الشكل المؤسساتي في عصر الدولة العباسية، والواضح من التاريخ وجود مؤسسة لها نفس أهداف الحوزة المطروحة، ولكن التنظيم ليس ممنهجاً وليس كتنظيم العلماء في عصر الغيبة، ففي عصور الائمة لا يقال عنه تنظيم، ولا يخلو التاريخ من وجود حلقات بحثية تهدف الى تعليم علوم أهل البيت عليهم السلام وتبليغها، وهذه الأهداف لا تختلف عن اهدف الحوزة العلمية المعاصرة، فيطلق عليها مسمى (الحركة العلمية) كالحركة العلمية في الكوفة والحركة العلمية في المدينة وغيرها، وكان

أهل البيت عليهم السلام ينشرون علومهم عن طريق تربية وتعليم شخصيات خاصة يقومون بتبليغ تلك العلوم للناس، وكان ممن ربّى وأنشأ نماذج لتنشر الدين هو النبي محمد صلى الله عليه وآله وكان من أفقه أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله والذي تولى تربيتهم وتعليمهم هم: ابن عباس، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، وأبو رافع إبراهيم مولى رسول الله صلى الله عليه وآله.

وكان أيضا جمع كثير من موالي أمير المؤمنين عليه السلام من التابعين الذين علمهم ورباهم عليه السلام فحفظوا السنّة ونقلوها عبر الأجيال حتى قال الذهبي في ميزان الاعتدال: «فهذا -اي التشيع- كثر بين التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق، فلو رد حديث هؤلاء لذهبت جملة الآثار النبوية»(١).

ومهما يكن من أمرٍ فأن فقه الشيعة وأئمتهم عليهم السلام محور الحركة الفكرية في العالم الإسلامي آنذاك، وكانت هذه الحركة تنطلق من المدينة المنورة بشكل خاص، وقد بلغ هذا الازدهار أوجه في عصر الامام الصادق عليه السلام فزخرت المدينة بطلاب العلوم، وكان بيته عليه السلام جامعة إسلامية يزحُم فيها الطلاب.

حتى قال ابن حجر عن الامام الصادق عليه السلام: «نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر صيته وذكره في سائر البلدان، ولم ينقل من العلماء عن أحد من أهل بيته ما نقل عنه من الحديث»(٢).

(١) ميزان الاعتدال: ١/ ٥.
(٢) الإمام الصادق عليه السلام، علم وعقيدة: ٤٨.

وكانت هذه المرحلة هي الحركة التأسيسية الأولى للحوزة الفكرية الإسلامية، ولكن هذه المرحلة من الحوزة أولية الى حدٍ ما، فلم تتبلور المسائل الخلافية في الفقه والعقيدة بعد، وكان مدار الحركة الإسلامية لغير الشيعة هي الحركة السياسية لا الحركة العلمية.

ولم تتبلور المسائل الفقهية في عصر المدينة المنورة كما تبلورت في الكوفة على يد تلامذة الامام الصادق عليه السلام ففي أواخر حياة الامام الصادق عليه السلام وبعد انتقاله الى الكوفة انتقلت الحركة العلمية معه من المدينة المنورة الى الكوفة، فتبلورت الحركة الفكرية في الكوفة بتنظيم اكثر مما كانت عليه في المدينة، وكان انتقال الامام عليه السلام في عصر ملك أبي العباس السفاح حين سقوط الدولة الاموية، وبداية نشوء الدولة العباسية، وبين هذا الظهور وذاك السقوط اغتنم الامام الصادق عليه السلام هذه الفرصة فازدلفت اليه الشيعة من كل فج لتتلقى منه العلم حتى قال الحسن بن علي بن زياد الوشاء لابن عيسى القمي: اني ادركت في هذا المسجد -يعني مسجد الكوفة- تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر الصادق عليه السلام[٣].

فتأسست الحلقات الدراسية والعوائل العلمية، حتى صار هناك بيوتات تعرف بانتسابها للإمام عليه السلام كبيت آل الاعين، وبيت آل حيان التغلبي، وبيت بني عطية، وبيت بني دراج، وغيرها من البيوتات التي عرفت بالتشيع واشتهرت بنقل الفقه والحديث.

(٣) تاريخ الكوفة: ٤٦٦.

فكانت هاتان المرحلتان هما بداية تأسيس الحوزة العلمية على يد أهل البيت عليهم السلام واستمرت على هذا النحو الى عصور الغيبة، وبقيت الحركة العلمية تنتقل عبر العصور بين الري وقم، وبغداد، والحلة، وكربلاء، والنجف.

فظهرت الحركة في بغداد من النصف الأول للقرن الخامس الى احتلال بغداد.

واسست مدرسة النجف الاشرف عندما حلّ الشيخ الطوسي في ارض الغري في أواخر القرن الخامس وهي أعظم جامعة دينية للشيعة الامامية، وقد انتجت الى يومنا هذا الالاف من فطاحل علماء الطائفة وجهابذة فقهاء الفرقة، وتأسست مدرسة الحلة من احتلال بغداد الى حياة الشهيد الثاني، واسس الشيخ وحيد البهبهاني المدرسة الكربلائية.

ولقد بذل أهل البيت وأصحابهم وكذلك فقهاء عصر الغيبة الكبرى غاية المجهود في تأسيس هذه المدرسة العظيمة حين تحملوا عناء تعليم العلوم ونشرها بين الناس.

نسأله تعالى أن يحفظ الحوزة العلمية بعلمائها ومتعلميها انه سميع مجيب.

مؤسسة دار الحكمة للثقافة والعلوم الإسلامية
www.darhikma.net

مركز مدرك للتنمية والدراسات الإسلامية
٣٧

تأسيس الأئمة عليهم السلام للحوزة العلمية

إعداد
مركز مَدرك للتنمية والدراسات الإسلامية